في اللهجات المغربية والأندلسية

الدكتور ابراهيم السامرائي

أحبوا العرب لثلاث : لاني عربي ، والقرآن
عربي ، وكلام أهل الجنة عربي ... [حديث]

اذا كان القدامى من المشارقة [1] قد فطنوا الى اللحن وشيوعه بين العامة وأفردوا له رسائل تسجله وتؤرخه ، فإن اصحابهم في الطرف الغربي من العالم الاسلامي القديم قد عنوا عنايتهم فلاحظوا وسجلوا وأرخوا وخلفوا كتباً ورسائل [2] .

وكان قد نشر المستشرق J. colin رسالة لغوية في لحن عامة اهل الاندلس وهي نسخة موجزة لكتاب « ايراد اللأل من إنشاد الضوال » لابن خاتمة الانصاري في مجلة Hespesis ج ١٢ سنة ١٩٣١ وقدم لهذه الرسالة بمقدمة اشتملت على جملة فوائد في موضوع لحن عامة الاندلس والديار المغربية . ثم نشر الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب كتاب « الجمانة في إزالة الرطانة » [3] وهو في لغة التخاطب في الاندلس وتونس وهو لبعض علماء

(١) انظر قائمة المصادر في هذا الموضوع لـ H. Thorbecke في مقدمة « درة الغواص » للحريري ليبزك ١٨٧١ ص ٧ – ١٢ .
وانظر « خطأ العامة » لكولد زيهر في
Zur Literaturgeschichte des Z. D. M. G. T 35 1881 pp. 147-152
وفي فهرس المخطوطات الملكية برلين أثبت W. Ahlwardt قائمة بالمؤلفات المهمة في هذا الباب (Vol. 6 1894 p 319)

(٢) سنذيل هذا البحث بقائمة نذكر فيها كتب لحن العامة .

(٣) الجمانة في ازاله الرطانة من منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة ١٩٥٣

القرن التاسع الهجري وزوده بجملة فوائد من تعليقاته واجتهاداته .

وقد أفدت من ملاحظات المستشرق الفرنسي Colin الذي نوهنا بذكره في أعلاه ومن ملاحظات العلامة التونسي الجليل ثم أضفت الى ذلك كله ما توصلت إليه من تحقيقاتي في هذا الباب . والذي نعرفه من كتب لحن العامة في المغرب والاندلس قليل على كثرة التصانيف التي ذكرها أصحاب الطبقات في هذا الباب ولكن أغلبها لم يصل الينا .

ومن هذه الكتب ما وصل الينا وها نحن ذاكرون من ذلك ما هو معروف :

١ ـ لحن العامة لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي [١] المتوفى سنة ٣٧٩ هـ

٢ ـ الرد على الزبيدي في لحن العوام لمحمد بن احمد بن هشام اللخمي السبتي [٢]

٣ ـ المدخل في تقويم اللسان لعلي بن محمد الغافقي المعروف بابن الشاري وقد ساعده في هذا العمل محمد بن حسن بن عطية . وهذان كانا قد عمدا الى الملاحظات التي رد بها ابن هشام اللخمي على الزبيدي ورتباها واعطياها اسم « المدخل في تقديم اللسان » [٣] وكلاهما من علماء القرن السابع الهجري .

٤ ـ انشاد الضوآل وإرشاد السوآل لمحمد بن هاني اللخمي السبتي المتوفى في جبل

(١) ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي واللغوي وهو من إشبيلية وسكن قرطبه ، وكان من شيوخه أبو علي القالي . وهو من اوائل من بحثوا في لغات الاندلس . وقد طبع كتابه « لحن العوام » بتحقيق الدكتور رمضان التواب (القاهرة ١٩٦٤) . وقد شرحه موسى بن علي الجزيري (انظر التكملة لابن الأبار (٩٢٠) نشرة كوديرا . وانظر مقدمة المحقق . ولهذا الكتاب نسخة موجزة من صنعة المؤلف نفسه ، ذكره ابن خير في فهرسته ٣٤٧ باسم « مختصر لحن العامة »

(٢) عرض ابن هشام في كتابه لأوهام الزبيدي ولأوهام ابن مكي صاحب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ولهذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزانة الاسكوريال برقم ٤٦ . انظر ترجمته في « التكملة » لابن الأبار ١ / ٣٧٠ ، وقد نقل السيوطي في « البغية » ص ١٦ ما ذكره ابن الأبار من ترجمة اللخمي هذا وأضاف ذاكراً (المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان » وقد ذكر هذا النجيبي في رحلته .

(٣) وهذا الكتاب من مخطوطات الاسكوريال رقم ٩٩ وهو صورة أخرى للمخطوط رقم ٤٦ كما أشار الى ذلك « دونبورغ » مصنف فهرست مخطوطات الاسكوريال . ومن الغريب ان ابن الأبار لم يذكر شيئاً عن هاتين النسختين مع أنه كتب كتابه بعد ابن هشام بأقل من قرن واحد .

طارق سنة ٧٣٣ هـ وهو غير محمد بن هانيء الشاعر ، وقد عمد هذا الى الكتاب السابق وهو « المدخل » وأعاد تصنيفه وترتيبه وزاد عليه .

٥ ـ ايراد اللآل من انشاد الضوآل لابي جعفر احمد بن علي بن خاتمة الانصاري المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ويعد هذا الكتاب استدراكاً على الكتاب السابق ، ثم عمد بعد ذلك احد العلماء فاختصر هذا الكتاب في رسالة صغيرة ، وقد طبعت في مجلة Hespesis كما أشرنا الى ذلك بعناية المستشرق الفرنسي « J . Colin » .

٦ ـ الفوائد العامة في لحن العامة لأبي القاسم محمد بن احمد بن جُزَيّ الكلبي المتوفي سنة ٧٤١ هـ وقد أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب (انظر نفح الطيب ط بولاق ٣ / ٢٧٢)

٧ ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي [٧] الحميري المازري الصَقَلّي المتوفى سنة ٥٠١ هـ . وقد حقق الدكتور عبدالعزيز مطر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٦٦) . وكان المستشرق الايطالي المعاصر (اومبرتو ريتسانو) قد نشر مقدمة هذا الكتاب في مجلة مركز الدراسات الشرقية للآباء الفرنسكان بالقاهرة في العدد الخامس (١٩٥٦) وقد عرض الناشر لموضوع لحن العامة وما صنف فيه من تصانيف في مختلف امصار العالم العالم الاسلامي القديم كما ترجم لابن مكي ثم نشر مقدمة الكتاب .

٨ ـ كتاب الرد على تثقيف اللسان لابراهيم بن اسحاق الأجدابي صاحب كتاب « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » وذكر التجاني التونسي في رحلته ص ١٨٠ هذا الكتاب

٩ ـ لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام لأبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني الاشبيلي المهاجر الى تونس والمتوفى بها سنة ٧١٧ هـ وقد عرض فيه لاغلاط العامة في أيمانهم وبدعهم

---

(١) وهو من بلرم حاضرة صقلية وقد انتقل منها الى افريقية بعد استيلاء النورمان عليها وتولى قضاء مدينة تونس وبها توفي سنة ٥٠١ هـ ، وكتابه في لغة صقلية ولحن العامة بها يوم كانت عامرة بالمسلمين . وهذا الكتاب من أهم الكتب في هذا الموضوع من الناحية التاريخية وذلك لأنه عرض للغلط الذي يدور على ألسنة الناس في عصره ، فلم يكن ناقلا ما ذكره القدامى ممن ألف في هذا الموضوع على نحو ما فعل ابن الجوزي من المشارقة في « تقويم اللسان » مثلا .

وعاداتهم وهو من مخطوطات المكتبة العبدلية الزيتونية بتونس رقم ٢٢٢٩ .

١٠ ـ الجمانة في إزالة الرطانة لمؤلف مجهول وقد حققه العلامة حسن حسني عبدالوهاب كما سبق أن نوهنا به .

١١ ـ مقدمة تقويم المنطق الحضري ، بكف اللسان المضري لسيدي محمد النيفر من شيوخ جامع الزيتونة (تونس ١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م) وقد عرض فيه للغة التخاطب في تونس وما يحدث فيها من مجانبة للفصيح كما حاول ارجاعها للعربية الفصيحة .

١٢ ـ الواسطة في أخبار مالطة لأحمد فارس الشدياق أورد فيه فصلاً عن لهجة جزيرة مالطة العربية .

وفي اللغات الاوربية تصانيف كثيرة عن اللهجات العربية في الشمالي الافريقي ومنها : « دراسات المستشرق الفرنسي وليم مارسيه عن لهجة طنجة » و « ولهجة تلمسان » و « لهجة أولاد ابراهيم ، واللهجة التونسية » في كتابيه :

1- Textes Arabes de Takrouna .- 2 - Textes Arabes d' AL - Hamma

وهذه المصنفات جميعها تقوم على إحصاء ما خالف فيه العامة الخاصة من وجوه القول كأن يفتح الخاصة عين الفعل والعامة تضمه او العكس أو ما جرى هذا المجرى .

من تاريخ العربية في تونس وديار المغرب

ويجمل بنا هنا أن نفيد مما ذكره المؤرخ الشهير عبدالرحمن بن خلدون في «تاريخه »:[1]

« فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم المستعربين فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم ، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ، فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون

(١) المقدمة ، فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد ص ٥٧٧ .

هذه القصائد (بالأصمعيات) نسبة الى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع مشعر (بالبدوي) . الى أن قال : « وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر الكلم ، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر ، ويتميز الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب » .

وقال ايضاً : « ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف ، فانهم (اي الأعراب) لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية ، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع ، حيث كانوا من غرب أو من شرق حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم والأجيال ومختصاً بهم لا يشاركون فيه غيرهم ، حتى ان من يريد التعرب والانتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها ، وعندهم انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف ، ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فان هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤسهم شرقاً وغرباً من ولد منصور بن عكرمة ... ابن سليم ابن منصور (بني هلال) .. وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر ، وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة ، وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولعلها لغة النبي (ص) بعينها ، وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت ، وزعموا أن من قرأ في أم القرآن : « اهدنا الصراط المستقيم) بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فان لغة أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم ، وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح ، وأهل هذا الجيل (اي الاعراب) لم يستحدثوها أيضاً الا أنهم أبعد من مخاطبة الأعاجم من أهل الأمصار ، فهذا يرجع فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم ، هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها ، وإنها

الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين الحضري ، فتفهم ذلك والله الهادي المبين » [1]

ان نطق القاف على هذا النحو مما أتى به الاعراب وادخلوه في لغة تونس وما جاورها من الأقاليم . ومن المفيد ان نشير الى ان هذه القاف قد تتحول الى صوت حلقي هو الهمزة وهذا أمر واضح في بعض الحواضر الافريقيـــة العربية وليس شيء من ذلك في القرى والبوادي . كما في مدن المغرب الاقصى وتلمسان في الجزائر ومثل هذا قد حصل في لغـــة غرناطة وجزيرة مالطة ، وهذا نظير ما نجده في طائفة من الحواضر المصرية . ومن البديهي ان يعرض الابدال للأصوات العربية الأخرى فليست « الجيم » بأسعد حظاً من القـاف وهي من غير شك في عصر ابن خلدون كانت إما كالقاف المعقودة او كالجيم المعطشة أو أنها مشوبة بما يشبه الشين . ولا بد أن يكون التونسيون في عصرنا قد ورثوا في نطقهم عادات أسلافهم ، ومما هو واضح في هذا النطق ابدالهم الزاي بالجيم فيقون مثلاً في « عجوز » « عزوز » وفي « الجزّار » « ززّار » وفي « جاز » « زاز » [2] ولا يعرض هذا الابدال الاحين يجتمع الجيم والزاء في الـكلمة الواحدة .

ملاحظات عن اللهجة التونسية

يبدأ الفعل المضارع بالنون للمتكلم المفرد فيقولون : ناكل بمعنى آكل ونضرب بمعنى أضرب، فاذا ارادوا جماعة المتـكلمين زادوا الواو في الآخر فيقولون : ناكلوا ونضربوا[3]

(١) مقدمة ابن خلدون (فصل في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة » .

(٢) ومثل هذا يعرض في لغة طائفة من العراقيين في عصرنا فهم يقولون « يزى » وهي « يجري »

(٣) أورد صاحب الجانة هذه المسألة ص ٣١ ومعنى هذا ان هذه المسألة قديمة في لغة التخاطب في الديار المغربية ، قال الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب : « ... ويظهر ان هذا اللحن قديم في لغة التخاطب عند المغاربة وربما يرجع الى القرن الرابع للهجرة ، وقد كان هذا الاستعمال شائعاً في لغة أهل الاندلس رصقلية وفي سائر جزائر البحر المتوسط الغربي ، مثل مالطة وقوصرة وغيرهما وذلك قبل زحفة أعراب بني هلال وبني سليم الى المغرب على ان هذه القبائل الهلالية نفسها كانت عند نزوحها الى المغرب ــ أواسط القرن الخامس للهجرة ــ تستعمل هذا الخطأ لا محالة كما أفادنا ابن خلدون فيما نقله من أشعار الهلاليين في تاريخه (راجع النماذج الممتعة التي أوردها الاستاذ وليم مارسيه في كتابه : « النصوص العربية لتـكرونة » W . Marçais, Textes Arabes de Takrouna Paris 1925 ص ٢٤ .

والماضي الواقع في حيز الاستفهام فقد التزموا في آخره شين مكسورة سواء أ كان الفعل ثلاثياً أم رباعياً أم خماسياً ... متعدياً كان أم قاصراً دون ذكر لاداة الاستفهام نحو: أ كرمتش وعلمتش ...

كما زيدت الشين مع غير الماضي الواقع في حيز الاستفهام ، ففي المضارع المبدوء بالتاء او النون او الياء تزاد الشين فيقولون : تضربوش ونكرموش ويقتلوش . أما المبدوء بالهمزة فلم يلحقوا به الشين الا نادراً .

وزادوا باطراد قبل الشين المذكوره فى الماضي والمضارع الواقعين في حيز الاستفهام او النفي واواً ولعل ذلك من اشياع الضم .

وقد يشبع الضم في أنتم وهم فيصيران انتوم وهوم ، وكذا الكسر في انتن فتصبح وهم يخاطبون المؤنثة الواحدة بخطاب المذكر الواحد فيقولون : قم واخرج والمراد قومي واخرجي [1]

ومن ذلك زيادتهم الياء في الثلاثي المضعف اذا اسند للضمير البارز المتحرك فيقولون في رَدَّ وحلَّ وظنّ اذا اسندوها الى ذلك ، ردّيت وردّينا ، وحلّيت وحلّينا ونحوه ، فيحيلون المعنى ، ألا ترى أن « ردّيت » يصير بصورة رَدَّى الرباعي الذي معناه أسقط المسند الى التاء ، ولا معنى لزيادة هذه الياء لان هذه أفعال ثلاثية والصواب أنه اذا أوتي بالضمير البارز المتحرك سكنت آخر الفعل لاتصال الضمير على قياس غير المضاعف ، ثم تفك الادغام لسكون المدغم فيه وهو آخر الفعل فتحرك الحرف المدغم بحركته الأصلية فتقول على هذا : رددت في « ردَّ » وحللت وظننت بفتح العين ، وتقول : مَلِلتُ في ملّ بكسر اللام الاولى وهى العين لان حركتها أصلية ، وشمت في شمّ ـ بكسر اللام ـ على اللغة

(١) جاء في « الجاتة » ص ٣٣ « ومن ذلك حذفهم الياء في أمر المؤنثة المخاطبة فيقولون لمؤنث « قم » والصواب « قومي » بالياء . علق الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب على هذا بقوله : أقول : هذا لحن جاء في لغة التخاطب لأهل الحضر بالبلاد التونسية ، أما في كلام الاعراب منهم فان ياء الأمر المخاطبة مستعملة باستمرار فيقولون (قومي) و (اخرجي) و (اشربي) ...

الفصحى ، وبفتحها على الاخرى وهذا ما تبيناه من فـك الثلاثي المضعف اذا اتصل به ضمير مرفوع متحرك وهو الفاشي والمشهور من لغة العرب ، وبعض العرب يبغي الادغام ويحرك الآخر لالتقاء الساكنين فيقول على هذه اللغة : رَدَّت و رَدَتْ (١) .

ومن ذلك قولهم « نواية » لواحدة النوى ، يزيدون ألفاً بين الواو والياء ، والصواب حذفها فتنقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وتفتح النون فيقال (نواة) ، وكما لحنوا في المفرد لحنوا ايضاً فى جمعه بالالف والتاء فقالوا (نوايات) فزادوا الفاً بين الواو والتاء ، والصواب اسقاطها فتقول (نويات) كما تقول حصيات في جمع حصاة لاحصايات (٢) .

ومن ذلك زيادتهم ياء في تصغير الثلاثي المذكر ، فيقولون في تصغير جَمَل (جُمَيِّل) وفي كلب (كليِّب) فيزيدون ياء أخرى غير ياء التصغير ويدغمون ياء التصغير فيها وهو خطأ ، والصواب (جُمَيل) و (كُليب) بياء التصغير وحدها من غير زيادة ياء أخرى ، لان حق كل ما كان ثلاثياً أن يصغر على فُعَيل نحو : فُلَيس وفُرَيس (٣) .

---

(١) انظر الجمانة ص ٢٩ . أقول وهذا اللحن قديم في العربية ، جاء في « الاقتضاب » لابن السيد البطليوسي ص ١٣٧ . « ويقال أنه جاء على لغة من يبدل أحد الحرفين المثلين ياء نحو قولهم : قصيت أظافري أي قصصتها . والعرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون « تظنيت » والأصل « تظننت » لأنه لحن الظن (الكامل للمبرد ٢ / ٧٦٠) .

(٢) انظر الجمانة ص ٢٨ . أقول : أن الذى اثبته صاحب الجمانة على أنه من لحن عامة الاندلس والديار الافريقية يتفق هو ولحن العامه في ديار المشرق ويبدو أيضاً أن كثيراً من مادة كتب لحن العامة منقول عما كتبه قدامى اللغويين كما فعل صاحب الجمانة في اعتماده على ما كتبه ابن قتيبة الدينوري في « أدب الكاتب » ، ومثل صاحب الجمانة غير واحد ممن عرض لموضوع لحن العامة من الاندلسيين والمغاربة .

(٣) قال العلامة حسن حسني عبدالوهاب في أسفل صفحة ٢٨ من الجمانة : إن تصغير الاسماء من وزن « فعل » على « فعيل » ومن وزن فعلال وفعايل وفعلول على صيغة (فعيعل) لم يكن خاصاً باللهجة التونسية بل هو موجود في سائر اللهجات الحضرية لأهل المغرب قديماً وحديثاً ، فان أهل الاندلس ـ الى آخر عهدهم باسبانيا ـ وكذلك أهل صقلية الى أواسط القرن السادس للهجرة كانوا يستعملون تلك الصيغ كما يستفاد من النصوص الكتابية والوثائق الواصلة الينا من ذلك العصر (راجع « ديوان ابن قزمان » طبعة بطرسبورغ المصور بعناية Gunzlruag سنة ١٨٩٦ فيما يخص لغة أهل الاندلس ـ وكتاب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » لعمر بن خلف بن مكي الصقلي ...

ملاحظات عن لحن العامة في المغرب في عصر الموحدين [1]

تتحول كسرة ما قبل آخر اسم الفاعل الثلاثي الى فتحة نحو : ناصر وصالح وباطل . ولعل سبب هذا التحول أن اصوات التفخيم واصوات الحلق أميل الى الى الفتح منه الى الكسر . ومن ذلك شيوع الإمالة في الاسم المختوم بالف مقصورة نحو عيسى وموسى .

ومن ذلك أيضاً شيوع المد فهم يقولون « علام » ويريدون بها « علَم » وكذلك كان الاندلسيون ، وهم يقولون « سلّوم » ويريدون بها « سُلَّم » ولذا جمعوهـــا على « سلاليم » ، ومن ذلك « عساكير » جمع « عسكر » .

وعلى أنهم ميالون الى لمد نراهم ميالين في الوقت نفسه الى القصر في الفاظ عديدة نحو : « مزامر » جمع « مِزمَر » و « مفاتح » جمع « مفتاح » و « مسامر » جمع « مسمار » و « ثلاثة » للثلاثاء من أيام الاسبوع ، و « واد » للوادي وهم يجمعونه على «ويدان» [2]

ومن ذلك ما يحدث من الابدال في الحروف نحـــو « سار » يتحول الى « صار » و « سور » يتحول الى « صور » و « سطل » يتحل الى « صطل » .

ومن ذلك تسهل الهمزة الى الواو نحو : واخى « آخى » والاصل « ودّى » والأصل « أدّى » ومن ذلك عدم استعمالهم لكلمة « سنة » الا بصيغة الجمع « سنين » أما في حالة الافراد فالمستعمل هو « عام » وقـد انثوها في استعمالهم حملاً على « سنة » مفرد « سنين » التي هجروها في الاستعمال .

---

(١) أفدت هذه الملاحظات مما نشره كل من ليفي بروفنسال وكولان المستشرقين الفرنسيين في مجلة Hesperis الفرنسية للدراسات المغربية والافريقية في الجزء العاشر .

(٢) على أن هذا الميل للقصر في هذه الالفاظ وغيرها غير مقصور على لغة العامة في المغرب في عصر الموحدين بل هو شائع في جميع أقطار المغرب الاسلامي وما زال شيء كثير من ذلك في اللغات الدارجة لهذه الاقطار فما زال التونسيون يجمعون « شباك » على « شبابيك » و « ساعة » « سوايع » ومثل هذا كثير .

وكلمة « مسجد » [1] وهي مذكر ولكنها تحولت الى مؤنث فى لغة البربر الذين أخذوها كما اخذوا الكثير من الالفاظ العربية ، وحولوها الى « تمسيجد » وهذا التحول راجع الى ان مكان العبادة في اللغة البربرية مؤنث فلما أسلموا واستعملوا اللفظ العربي جعلوه مؤنثاً ، ومثل ذلك كلمة « جامع » .

وفي مدينة طنجة تقابل العامية « موطعه » كلمة « موضع » الفصيحة .

ويلاحظ في جميع اللغات المغربية الدارجة إهمال المثنى اهمالاً تاماً وهذا قديم كما يدلنا على ذلك النصوص التي نشرها « ليفى بروفنسال » .

يقولون : قتلهم الاثنين [2] .

ويقولون : زوج كتب [3] .

ومن الشايع في هذه العامية الجمع بالياء والنون لتعيين صنف ارباب الحرف كأن يقال : « الصباغين » أي المحلة التي يقطنها ارباب هذه الحرفة .

ويبدأ الفعل المضارع المسند للمتكلم المفرد بالنون نحو : « نسير » في قولنا « أسير » و « نصل » في قولنا « أصل » .

اما المضارع المسند لجماعة المتكلمين فيبدأ بالنون ويختم بالواو نحو « نسيروا » أي « نسير » و « ناكلوا » أي « نأكل » .

ويحذف نون المضارع المسند الى جماعة الغائبين نحو : « ياخذوا » أي « يأخذون » [4].

(١) ويقال له « مصيد » حكاه غير واحد والأول أفصح ، ويبدو ان « مسيد » لم يكن معروفاً لدى الاندلسيين ، والصيغة الوحيدة لمسجد هي مزد Mazad ، غير ان اللهجات المغربية الحديثة مازال فيها « مسيد » Msid والجمع «مسايد » Msaid ومعناه المدرسة القرآنية الملحقة بالمسجد الجامع .ومثل ذلك كلمة « جامع » فهى تشتمل على المعنيين .

(٢) أقول : ان مسألة إهمال المثنى اذا كان مكنى عنه بضمير واقع في اللهجات المشرقية منذ عدة قرون فلا يقال في ديار المشرق : « قتلهما » بل يقال : « قتلهم » .

(٣) استعمال « الزوج » للاثنين مما شائع في اللغات المغربية الدارجة وقد يعرض الابدال في كلمة « زوج » فتصبح « زوز » .

(٤) هذا الاستعمال شائع في لغات أهل المشرق الدارجة ، ويبدو أنه قديم .

لم يبق من العربية في جزيرة مالطة الا بقايا لا يمكن أن تفي بحاجة المالطيين ولذلك تستخدم المالطية للأمور والاحوال الساقطة [1] ، أما اذا أرادوا شيئاً آخر أقرب الى الجد كالوصف والوعظ وغير ذلك لجأوا الى اللغة الايطالية .

فاذا كان المنادى عظيما فان اداء النداء إيطالية نحو : « أو مولاي » ، واذا كان المنادى شيئاً غير عظيم فاداة النداء عربية نحو : يا تفاح .

يبدأ الفعل المضارع المسند للمتكلم بالنون نحو : « ناُحد » أي « آخذ » اما المسند لضمير المتكلمين فانه يذيل بالواو نحو « ناخدوا » أي نأخذ .

وياء المضارع وتاؤه يكونان مكسورتين وآخره مضموم نحو : يحسبُك . ويبدل بالخاء في هـــذه اللغة الحاء نحو : « بتيح » في « بطيخ » و « حوح » في « خوخ و « حبس » في « خبز » و « حلحال » في « خلخال » .

ومن المفيد أن نذيل هذا الباب بنماذج من الزجل نستخلص منها فوائد لغوية . قال مدغليس احد الزجالين الاندلسيين في مطلع أحد ازجاله :

[الله] يعلم ما بقلبي وبيّه لقد آتحكّم هذا العشق فيّه

وأصل الكلمة « تحكّمَ » فزيدت الفاً على نحو ما يزيد العامة في هـذه الصيغة ، وما زال العامة في كثير من البلاد يستعملون هذه الزيادة .

ومثل هذه الزيادة قوله في قصيدته اللامية :

لقد آخذلني جمال هذا المليح ولكن معذور أنا هو يتخذل

والأصل « خذلني » فزادها ألفاً ، ومثل ذلك قوله في قصيدة اخرى :

لو رأيت كفّ كُنّ تشيّاعو بالعين وما تدري أن روحي تشيّع

والأصل « تشيّعه » فزادها الفاً . وكقوله في بيت من زجل مطلعه :

---

(١) انظر الواسطة في معرفة احوال مالطة لأحمد فارس الشدياق ص ٥٦ (الجوائب ١٢٩٩ هـ) .

ثلث أشيا في البساتين لَسْ تُجَد في كل مَوضعْ
النسيمْ والخضرَه والطيرْ شُمّ وإتنزّه وإسْمَعْ
ومِلاح بحال حور العين في رياض تشبه الجنّه
وعسيوة قصيرة تنظروا الخلاّع تجنّا
لَسْ نطيق نفارقوها وهي تحمل طاق عنّا
فكأن الشمس فيها وجْهُ عاشق إذ يودّع

فالواو في لفظة « نفارقوها » زائد في الأصل ، وأمثال ذلك في نظمهم كثير جداً . وقد ينقصون حرفاً من أصل الكلمة فكقول ابن قزمان في مطلع زجل له وهو :

يا من قتلني غيابو مَتْ نستريح من عذابو

وأصل الكلمة « متى » فحذف الالف منها ، وكقوله في مطلع قصيدته الكافية :

انما حقاً ندري من اين مجيئك شمتو فيك انفاس الذي شيعوك

وأصل الكلمة « شممت » ، وقوله أيضاً في مطلع زجل له وهو :

حملني عشق الملاح فوق استطاعي وما قصر عمري فيه يمتَدُّ باعي

وأصل الكلمة « استطاعتي » .

وقد يزيدون همزة في كلمة لا وجه لزيادتها كما ينقصون أخرى ، فمن زيادتها ابن قزمان في زجل مطلعه :

نَظَرْ بطرفِ عَينو وعَبّسْ لاحيط نقلها ونشكو ونحبسْ

في جملة الكلام الذي قال :

اين الصدود وقد طال ما طال أتخيل أتْ بعد صورة الحال
فرج لعمري كربه وآنس

وأصل الكلمة « تخيّل » بغير همزة ، وكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

من أشوت أكبادي وأبكت أجفاني

الله لا ينســـاها مقـــدار ما تنســالى

وأصل الكلمة « شوت » بغير همزة ومثل هذا كثير .

أما انقاص الهمزة فكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

لَسْ نتب عن ذي الشريبة لو نهبت السبت والحـــد
قـــد أعرت آذاني للوم ودفعتـو جلدي للحـــد

يريد « السبت والأحد » فحذف الهمزة ، وكقوله في قصيدته الكافية المسطورة :

انما حقاً ندري من اين مجيك شمتو فيك أنفاس الذي شيعوك

وأصل الكلمة « مجيئك » بالهمز ومن جميل الأزجال الذي وقع فيه انقاص الهمزة كما وقع استعمال المواد العامية بشكل واضح قول أبي عبد الله محمد بن حسون الملّا المغربي في زجل له مطلعه :

كم نبتْ مُنَكَّدْ من هواكْ وهجرانَكْ يا مليح القَدْ

يا مليح بمن سمّاك أش هذا التجنّي
طول ما نشتهي قربك تبعد انت عنّي
إن كان الرقيب بلّغ ليك قضية عني
لس أنا في ذا الحد عوذ باللّ[ـه] يا حبي الأخير هو أجود

فقد اسقط الهمزة في موضعين في قوله « ليك » بمعنى « اليك » وفي « عوذ » وأصلها « أعوذ » ، ومما يعرض لهم زيادة المد في الكلمة والقصر في كلمة أخرى ، من الزيادة قول ابن قزمان في زجل له مطلعه :

مُرّ لى عن ذا الشراب ووجـــدتو أنـا حـلو
تتركوا قوم وآنا لا
انما مذهبي الطـــلا

فمدّ الالف في قوله « آنا » وهو نهج عامي وربما كان شيئاً اقتضاه الوزن . ومن قصر المد الذي يعرض في كلامهم قول ابن قزمان في مطلع زجل له :

دع ذي الأخبار وخليّها ساقه زالت الشحنا وجات الصداقة

فكقوله « الشحنا » و « جات » من هذا الموضوع :

ومما يعرض لهم من هذه الالوان العامية تشديد المخفف وتخفيف المشدد ، فالاول مثل تشديد حروف الجر فى مثل « مِنه » و « عنه » كقول ابن قزمان في مطلع زجل له وهو:

ذا الصدود نمت منّو قد رحلت من أجلو

قل يا قلبي وَشْ همّكْ تشكو حوروا أو عدلو

وكقول مدغليس في مطلع قصيدة :

أنا تايب من هوا يا مسلمين اللـ[ه] يجعل قلبي فى يدّ أمين

والاصل في « اليد » عدم التشديد .

أما تخفيف المشدد فهو كثير في أزجالهم ومن ذلك قول ابن قزمان :

أي حسرات في قلب من يهواك إن مضى أو بقى

كان تصدق لو انك آت تلقى عُشر ما قد مضى

أنا في حيرة مَرَة نرجوك ومَرَه تتقي

ونرى كلّما نؤمّلْ فيك إن صدق أو يخيب

فقوله « مره » الاخيرة بغير تشديد وهو مما يقتضيه اقامة الوزن . ومن ذلك تحريك الساكن وتسكين المتحرك ، ولعل هذا يحدث في فصيح العربية وذلك مما تقتضيه الضرورة الشعرية .

وقد يشبعون الحركة حتى يتولد المد ، ومن ذلك اشباع الضمة حتى تصير واواً كقول مدغليس :

توقد انفاسك الذكية شماع في قلُبنا متى نستنشقوك

فالواو في « نستنشقوك » من اشباع ضمة القاف . ومن ذلك قول ابن قزمان :

يعشاقوا قلبي وهو ما يعشق وماعي فيه الحسود اش يقلقْ

فالألف في « يعشاقو » من أشباع فتحة الشين ، وكذلك « ماعي » فالألف فيها من الفتحة . ومن أشباع الكسرة حتى تتولد الياء قول ابن قزمان :

قالوا عني بأني عاشق تَقُلْ يصدقوا ياحبيبي لْقيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا

هذا شي والنبيْ يانور عيني ما تحدثت فيه

ولَ بالله خطر على بالي لا ولا خضت فيه

انما في الطريق وَنا نمشي كلّ من نلتقيه

يدْنُ لي بالسلام ويسألني عند ما نلتقو ويقول لي فلان بحق الله من صحيح تعشقو

والشاهد المطلوب في كلمة « بيه » فان الياء نشأت من اشباع الكسرة في الباء . وكما حصل الاشباع في الحركة حصل عكسه فقد قصرت الواو في « قُلُبنا » والأصل « قلوبنا » كما في قول مدغليس :

توقد انفاسك الزكية شماع في قلبنا متى ما نستنشقوك

وقد يعرض في كلامهم جزم الأفعال وليس من جازم لها كما يعرض العكس أيضاً وهذا هو سبيل العامية في كثير من اقطار العربية . كما يعرض في أزجالهم تذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

ومما تجب الاشارة اليه اقامة الحرف مقام الكلمة فيقيمون الكاف مقام « كان » والخاء مقام « خذ » فمن الاول قول مدغليس :

وكنحلف ان لا نعشق أبداً لولا ما نخشى بشرّين اليمين

يريد « وكنا نحلف » ، وهذا كثير في ازجالهم

ومن الثاني قول ابن حسون الحلا في زجل له :

قد ضحك ضوء الصباح وافتضح سر النوار

لا زمان غير ذا الزمان الصلاهْ على الرسول

خُترا ذا المهرجان خُترا جرّ الذيول

فقوله : « خُترا » بمعنى « خذ ترى » .

وفي هذه الازجال تتضح العامية بألوانها فقد تغيرت الكلمة الفصيحة تغييراً اقتضته طبيعة العامية في ميلها الى اختصار الكلمة . ألا ترى ان « ليس » صارت « لس » و « الذي » صارت « اللى » و « الساعة » صارت « السا » كقول ابن قزمان في زجل له :

« تعرفْ اسماها « السا » يقل لك لا » في الكلام على الخمر

وهذا نظير ما حدث في اللغات الدارجة في ديار المشرق العربي .

وكأنهم اشترطوا على الزجال ان يوغل في هذه الالوان العامية فقد ذكروا ان ابن قزمان إمام الزجالين قد قال في الكلام على عيوب الزجل : « ومن عيوب الزجل اعراب كلامه سيما ان قصد الاعراب وأحسن ما كان منه باللغة العامية »[1] . وقد قال في خطبة ديوانه : وقد جردت فني من الاعراب كما يجرد السيف من القراب ، فمن دخل علي من هذا الباب فقد اخطأ وما أصاب » .

وبعد فهذه جملة فوائد اقتبسناها لنذيل بها هذا الفصل وهي تكشف عن الوان من العامية الاندلسية في عصر ملوك الطوائف .

(١) الكتاب العاطل المالي والمرخص الغالي لصفي الدين الحلي (عنى بتصحيحه وهلم هو زباخ الألماني » ص ٦٨ . والازجال التي ذكرتها من الكتاب نفسه .